محمد الهادي السنوسي شاعرا ومؤلفا

Mohamed Al-Hadi Al- Senoussi, poet and writer

طالبة الدكتوراه/ عبير عماجي*
الأستاذ الدكتور: محمد زرمان

قسم اللغة والأدب العربي –جامعة باتنة1- باتنة(الجزائر)
مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة –جامعة باتنة1-
abir.amadji@univ-batna.dz

تاريخ الإيداع: 2023/04/15 تاريخ القبول: 2025/09/08 تاريخ النشر: 2025/09/15

ملخص

يهدف البحث للتطرق إلى أحد الشعراء الذين حملوا مسؤولية التغيير وإصلاح المجتمع من خلال ما يطرحه من قضايا ومواضيع للتغيير الإيجابي في مجتمعه، وهو محمد الهادي السنوسي الذي ألف كتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" وأورد فيه مجموعة من الشعراء وأشعارهم، كما شمل المؤلف قصائد تدعو للثورة تلميحا وتصريحا وكان للمرأة حظ من أشعاره، فهو أديب كاتب وشاعر..

ومن نتائج هذا البحث أن للسنوسي فكرا إصلاحيا سعى من خلاله المجتمع، ويعد كتابه وثيقة لسير الشعراء الذين ذكرهم وحفظ أسماءهم وأعمالهم.

الكلمات المفتاحية: محمد الهادي السنوسي؛ شعراء الجزائر في العصر الحاضر؛ شعراء؛ قصائد.

Abstract:

And reforming society through the issues and topic it raises for positive change in his community and his name Mohamed Al-Hadi Al- Senoussi who zrote his book "Algerian poets in the present era" and he mentioned a group of poet and their poems the author also included poems calling for revolution, hinting and declaring and women had luck from his poems he is a literary writer and poet…

Keywords: Mohamed Al-Hadi Al- Senoussi; Algerian poets in the present era; poet; poems.

مقدمة

عرفت الجزائر مع بداية القرن العشرين، نوعا من الوعي الاجتماعي والديني والأدبي، رغم وجود الاحتلال الفرنسي الذي جعل الجزائريين يعيشون كل أنواع القمع والعذاب، فهو لم يسع فقط لاحتلال الأراضي الجزائرية واستنزاف خيراتها وسلب ثرواتها، بل سعى لاحتلال عقول الجزائريين وغسل أدمغتهم من خلال إضعاف الوازع الديني لديهم، وبالتالي المساس بعروبتهم فرنستهم وأراضيهم.

في ظل هذه الأجواء التي كلها ظلم واضطهاد وتقييد للحرية ومساس بالدين، ظهرت مجموعة من الاتجاهات من بينها الاتجاه الإصلاحي على يد عبد الحميد بن باديس وأنصاره الذين أسسوا جمعية العلماء المسلمين، وحملوا على عاتقهم النهوض بالفكر الجزائري وإعادة بعثه وإحياءه من جديد حتى لا يذوب ويتماهى في التفكير الفرنسي، ولا يكون ذلك إلا من خلال نشر الوعي الذي يتمثل في تقديم الدروس، في المدارس أو حلقات المساجد، ورفع راية العلم وترسيخ معالم الدين الذي عمل الاستعمار على طمسه، وقد كانت جمعية العلماء المسلمين حاوية لمجموعة من الأدباء والمثقفين من بينهم محمد الهادي السنوسي الزاهري، الذي كان أحد مؤسسيها، بعد أن تأثر بعبد الحميد بن باديس وخرج من جو التصوف الذي كان فيه بمصاحبته له لسنوات، وقد نشط الهادي السنوسي في العديد من الجرائد والمجلات، كما له العديد من الأشعار، فهو أديب وشاعر ومؤلف له وزنه ومكانته في الجزائر.

اكتمل الإبداع عند الهادي السنوسي حيث برع في الشعر واستطاع تأليف كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر " الذي هو عبارة عن ترجمة لشعراء الجزائر وذكر لأشعارهم، فكيف يظهر السنوسي شاعرا ومؤلفا؟، وإلى أي مدى حقق مكانته الأدبية؟، وما هي أهم المحطات التي كونته؟

تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال إبراز دور ومكانة السنوسي في عمله الإبداعي (كتابه وأشعاره)، خاصة وأن مؤلفه كان في زمن الاستعمار، فالمحيط وقتئذ لا يشجع على الإبداع، لكن السنوسي أبدع في مؤلفه، ولعب دورا كبيرا في عملية الإصلاح والتوجيه، أما الهدف منها فهو دراسة السنوسي كشخصية مبدعة والكشف عن جوانب الإبداع فيها وتسليط الضوء على مؤلفه من مختلف جوانبه والكشف عن دور الهادي السنوسي في عملية الإصلاح والتوعية، اعتمدت في هذه الدراسة على الأسلوب الوصفي التحليلي، من خلال العودة إلى المؤلف ووصف ماورد فيه، وتحليل القصائد

- أولا: حياة السنوسي ونشأته:

هو محمد الهادي بن علي بن محمد بن السنوسي الزاهري "(1317هـ/1376هـ)،(1899م، 1956م)، ولد في قرية ليانة قرب بسكرة"[1]، نشأ في عائلة محبة للعلم، فقد حفظ من القرآن الكريم وبعض الأمور المتعلقة بالدين على يد والده، الذي شجعه على ذلك، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة ليتعلم، ومن حسن حظه مصاحبته للعلامة عبد الحميد ابن باديس، الذي صاحبه لمدة سبع سنوات كاملة، أخذ عنه أسس الدين القويم، وقد زرع فيه ابن باديس بذرة العلم والدين التي أتت ثمارها فيما بعد، فكان لمصاحبته له الأثر الكبير في تغيير تفكيره وتهذيبه بعد ماكان متصوفا وهذا نتاج البيئة التي عاش فيها وقد انتشر حينئذ التصوف كظاهرة، واتخذت من الزوايا مركزا لها حيث "أصبحت الزاوية تعني طريقة صوفية معينة لها شيخ تنسب إليه ولها أذكار وأوراد خاصة بها"[2]، وانتشرت مجموعة من الطقوس والمعتقدات الغريبة وقد"رافق ظاهرة التصوف بالمنطقة انحرافات على المستويين العلمي والعملي"[3]، فمجموع المعتقدات الخاطئة والخرافات الصوفية بعيدة عن الدين تماما ودورها هو إرساء الجهل وسط المجتمع، وهذا ما أدركه السنوسي فيما بعد فصحح عقيدته وعدل تفكيره، وقد قال في مؤلفه "كنت قبل صحبتي لهذا الأستاذ الإمام ولوعا بأباطيل الخرافيين من الطرقيين، راسخ اليقين في الإيمان بطواغيت الدجالين، ولقد أصبحت والحمد لله حر الضمير، والعقيدة، والفكر"[4] أي أنه اعترف أن التصوف الذي كان فيه ما هو إلا نقص دين ومجرد أباطيل كما أورد فضل ابن باديس في خروجه من عالم الجهل.

عاش السنوسي متنقلا بين ربوع الجزائر بداية بمسقط رأسه بسكرة، ثم ذهب إلى قسنطينة ثم الجزائر العاصمة، فنهل العلم واتسعت ثقافته، واشتغل بالتعليم في أماكن أخرى كتلمسان.، فكان مدرسا في شتى المدارس وواعظا في المساجد والزوايا، وقد كان يسافر كل ربوع الوطن ليمارس عمله في ميدان التربية والتعليم

لم يقتصر دور السنوسي على التعليم فقط فقد كان يقوم بالإرشاد والوعظ من جهة أخرى وانتقل لمرات عديدة بغية هذا الأخير، ومع اندلاع الثورة التحق بها كبقية الجزائريين وناضل من أجل استقلال الجزائر ونيل حريتها، ونتيجة ضغط الاستعمار الفرنسي وملاحقته له "توقف عن نشاطه التعليمي مؤقتا، واشتغل بالتجارة ليلتحق بعد الخمسينات بالعمل في الإذاعة"[5].

لم يكن للسنوسي أي ديوان مطبووع يضم شعره، بل بقي مترامیا في الصحف والمجلات، وبعضها ضمن كتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر"، وهو المؤلف الوحيد له، بعد كل هذا العطاء "أصيب السنوسي بشلل نصفي جعله حبيس المنزل لمدة أربع سنوات إلى أن وافاه أجله عام 1394هـ، الموافق ل4أكتوبر1974 "[6]

ثانيا: اتجاهات الحركة الوطنية

حاولت فرنسا كسب الجزائريين، فطبقت عليهم سياسة الإدماج التي رحب بها بعض الجزائريين "الذين عاشوا في فرنسا، واختلطوا بجوها هذا ما أثر على تفكيرهم، أي أنهم تأثروا بالجو الذي كان يسود أوروبا، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى" [7]، بالمقابل قامت فرنسا بفتح أبوابها للجزائريين من خلال فتح مدارسها لهم، ودمج الشعب الجزائري مع الشعب الفرنسي، ومحاولة جعل اللغة الرسمية هي اللغة الفرنسي، وكان رائد هذه الحركة فرحات عباس الذي كان يرى بأنه"لا يوجد في كتاب مقدس أي أمر يمنع المسلم الجزائري من أن يكون فرنسيا على صعيد الانتماء القومي" [8].

في مقابل هذا ظهرت العديد من الأحزاب والاتجاهات التي تعاكس الاتجاه الإدماجي في مطالبه، يهدف فقط إلى تحرير الجزائر، وانفصالها عن فرنسا من بينهم حزب الشعب، الذي يرى أن"الأمة الجزائرية ليست فرنسا...بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها" [9]، والاتجاه الاستقلالي الذي رفض أي وجود للاستعمار الفرنسي على الأراضي الجزائرية تحت أي هيئة، فكانوا ضد الاستعمار ولغته وثقافته فمطلبهم كان واضحا و"ينادي بصراحة باستقلال الجزائر والشمال الافريقي" [10]

ثالثا: الهادي السنوسي وجمعية العلماء المسلمين

كانت فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين عام 1924م، لكنها لم تجد سبيلا للتنفيذ إلا عام 1931م، ومؤسسها هو العلامة عبد الحميد ابن باديس، وقد تأثر بالأفغاني ومحمد عبده، وكان هدفهم القريب هو إحياء العربية والإسلام، وهدفهم البعيد هو الاستقلال، هدفوا لبناء المساجد لحفر قبر فرنسا بدهاء من خلال تدريس السنة والقرآن ومحاربة الطرق االصوفية التي فيها انحراف وفساد للدين، كما حاربوا التجنيس فهو محو للإسلام والعروبة، وسعوا لمنح الجزائريين فكرة الاستمرار كشعب عربي إسلامي، فلم يتركوا مكانا إلا وأنشأوا فيه مدرسة أو مسجد أو حتى حلقات ...

اتبعت هذه الجمعية طريقة الإصلاح منهجا لها فقد أدركوا أن "التحرر من الاستعمار إنما يبدأ بتحرير النفوس من التبعية والتقاليد الفاسدة" [11]، فالهدف من إنشاءها هو بناء وعي مدرك محب للوطن عاشق للحرية لا ينجر وراء الخدع الفرنسية، لهذا كان التعليم الباديسي ثورة شاملة تعدى أثرها تلاميذ ابن باديس.

تتلمذ على يد ابن باديس أدباء عملوا على إكمال مسيرته الإصلاحية، من بينهم عبد الهادي السنوسي، الذي حمل شعلة الإصلاح من خلال الأدب فهو الوجه الآخر لحياة المجتمع، يعبر عن آلامه وآماله، ويعكس طريقة عيشهم وتفكيرهم والأهم وقوفهم ضد الاستعمار الفرنسي والدعوة إلى الحرية والاستقلال، وذلك من خلال الانتقال بين مختلف ربوع الوطن فحاول الوصول إلى أبعد المناطق، وكان هدفهم هو التوعية والإرشاد، وتعليم الدين الصحيح والقضاء على البدع والجهل.

وقد شارك السنوسي في هذا الإصلاح من خلال محاربته للمعتقدات الخاطئة تحت اسم الدين، كونه أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين وشارك في عملية الوعظ والإرشاد التي تقوم عليها هذه الجمعية، فكان له نشاط كبير من خلال النشر في الجرائد والمشاركة بمقالات مضمونها إصلاحي، كما أن له العديد من القصائد مختلفة الأغراض من بينها ما يدعوا إلى الثورة، ويصف الشعب الجزائري وهو يحمل السلاح ضد الاستعمار الفرنسي فيقول

"شعب يثور بلا سلاح بعدما لبس السنين تعاسة وشقاء

أبطاله التمسوا السلاح وحققوا بعد العناء من السلاح رجاء

أخذوه من أيدي الأعادي عنوة ورموا به في المقتل الأعداء" [12]

رابعا الهادي السنوسي مؤلفا

ألف محمد الهادي السنوسي كتابه، وهو شاب فقد تشبع بالعلم مذ كان صغيرا، وذلك لحرص والده على تلقينه وتعليمه، وبعد وفاته سعت أمه لعليمه، فكان تعلمه على يد مجموعة من الشيوخ والعلماء الذين صقلوا معرفته وفتحوا ذهنه وكونوه فأصبح شاعرا وألف كتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" وهو كتاب على جزأين، جزأه الأول طبع "بالمطبعة الرسمية بتونس سنة1926م، والقسم الثاني منه في مطبعة النهضة"[13]

تضمن الكتاب إهداء على شكل قصيدة عنوانها "روحي لكم" من تأليفه، تليها صورة مرسومة له، بعدها مقدمة الكتاب، أما عدد صفحات الكتاب فهي مئتان وخمس صفحات جمعت إحدى عشر شاعرا ترتيبهم كالآتي:

محمد العيد حم علي، محمد اللقاني بن السائح، محمد السعيد الزاهري، الجنيد أحمد مكي، أبو يقضان، الطيب العقبي، مفدي كريا بن سليمان، أحمد كاتب بن الغزالي، رمضان حمود بن سليمان، إبراهيم بن نوح امتياز، محمد الهادي السنوسي الزاهري.

أما الجزء الثاني فقد ضم عشرة شعراء وهم:

الأمين العمودي، محمد المولود بن الموهوب الطاهر بن عبد السلام، حسن أبو الحبال، محمد الصالح خبشاش، المولود الزريبي، محمد العلمي، محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي، أحمد بن يحي الأكحل، محمود بن دويدة.

بعد ذكره للشعراء العشر، فإن السنوسي أورد في كتابه حفلة جمعية قدماء الصادقية، التي أقامت إحتفالا بكتاب السنوسي، وأشادوا بالكتاب وأهميته، وتحدث السنوسي أيضا عن حفلة الشباب الجزائري بكتابه، والخطب التي قالها مجموعة من الشيوخ، وختمها بجملة من التنبيهات.

كانت طريقة السنوسي في جمع أشعار الشعراء مرفوقا بسيرهم فهم أعلم بحياتهم من غيرهم، إلا إذا ترك من يريد الترجمة له أمر سيرته فانه يكتبها حيث يقول "طلبت من شعراءنا أن يقدموا لي مع شعرهم تراجمهم كل يكتب عن نفسه لأنه أدرى من اوعز إلي بكتابتها فاني أكتبها له"[14].

وقد اتبع في كتابه نظاما فيه نوع من التجديد حيث يقوم بإرفاق صور للشعراء مع ذكر تراجمهم وأشعارهم، حيث لم يسبق لمؤلف قبله وضع صور للشعراء في مؤلف فهي خطوة تجديدية في تقديم تراجم للشعراء تضيف للشخصية وتعرف بها أكثر، وفيما يخص الأشعار التي أوردها السنوسي في كتابه فإنه لم يدرج شعر الرثاء والمدح والهجاء ضمن أشعارهم إلا رثاء ومدحا لشخصيات عظيمة، ورغم كونه مقلدا في شعره ومتبعا طريقة الأقدمين إلا أنه أسقطها لأنه "في مثل هكذا أغراض تسقط الكرامة وتكثر المغالاة والابتذال ويقل الصدق كما أنها لا تفيدنا "[15]، وقد قصد السنوسي لذكر ما للشعراء من كتب لينالوا حظا من النشر وأيضا هي حفظ لأعمال قدموها ومعرفة الناس لها.

-خامسا: الأغراض الشعرية في مؤلف عبد الهادي السنوسي:

عاش السنوسي حياته في الجزائر، وتشبع بالثقافة الجزائرية، وتشبع بالثقافة الجزائرية، فكانت نشأته دينية أدبية أخذها عن المحيط الذي عاش فيه، وكان محافظا على التراث، فقد عاش في فترة الاستعمار، وتولدت داخله روح المقاومة سواء بالقلم أو الالتحاق بصفوف الثورة، وحتى الأشعار التي في مؤلفه فيها روح ثورية حاول الشعراء نقلها للشعب، كما نجد في مؤلفه الغرض الديني لنشر تعاليم الدين والقضاء على الجهل والأمية، وحتى الغرض الاجتماعي.

1- الغرض الديني

ترسيخ تعاليم الدين هي أحد طرق وأساليب محاربة الاستعمار من خلال تثبيت العقيدة التي سعت فرنسا إلى طمسها وإبدالها بالمسيحية، فحاول الشعراء تذكير الشعب وهديهم إلى الطريق المستقيم يقول الشاعر أحمد المكي:

"الا ان ذا القرآن ان سال سائل هو البدر والبدور منه تضاءل

الا ذا القرآن هدى ورحمة ونور الدياج والنجوم أوافل

تباهت به زهر العصور وفاخرت به بعضها بعضا وحق التطاول

وسارت به الركبان شرقا ومغربا وهامت به نوابغ وفطاحل"[16]

يصف الشاعر هنا القرآن الكريم الذي هو نور وهداية للناس، عابر للزمان والمكان، باق تأثيره غير زائل، نحتاجه في حياتنا، ونفتخر به، ويحق لنا ذلك كيف لا وهو كلام الله المقدس، لا يمسه تغيير ولا تحريف مهما حاولوا الافتراء عليه تبقى مجرد أباطيل

2 -الغرض الثوري

نجد الكثير من هذه الأشعار التي تحمل داخلها معاني الثورة في كتاب السنوسي سواء كان ذلك تصريحا أو تلميحا، فالشاعر "ينير ويوجه المواطنين إلى الطريق الأنجح لحل جل قضاياهم الوطنية التي يتخبطون فيها"[17]

ويدعوا الشعراء الشعب ليثور ضد وضع الاحتلال ولا يستكين له، وقد تبنى العديد من الشعراء القضية الجزائرية وجعلوا منها شغلهم الشاغل، وهمهم الوحيد، فكانت أشعارهم عبارة عن دعوة ملحة على الثورة، أو دعوة الشباب للنهوض بالبلاد، محاولة تحسين وضع الجزائر، وإتحاد الشباب وكل أهالي الجزائر فيما بينهم ليكونوا يدا واحدة ضد الاستعمار، والمقاومة حتى نيل الحرية مثل هكذا أشعار هي بمثابة حافز ودافع للنهوض ونفض الغبار والمحاربة من أجل الاستقلال.

من بين هذه الأشعار ما قاله محمد الهادي السنوسي في أحد قصائده:

"شعب يثور بلا سلاح بعدما لبس السنين تعاسة وشقاء

أبطاله التمسوا السلاح وحققوا بعد العناء من السلاح رجاء

أخذوه من أيدي الأعادي عنوة ورموا به في المقتل الأعداء"[18]

الشاعر هنا يدعوا إلى الثورة بطريقة صريحة وواضحة، وأن لا يبقوا حبيسي الاستعمار، ويعيشوا في بؤس وشقاء لا ينتهيان إذا رضوا بالبقاء تحت وطأة الاستعمار، وهذا ما قام به الشعب فقد قاموا وانتفضوا ضده رافضين وجوده مقاتلين أعداءهم صامدين، وهناك العديد من هكذا نماذج منها:

"ألا فدع التغزل في غوان فتلك طريقة المستهترينا

وما شان المدامة في كؤوس بها تستنزف العقل الثمينا

فمن صوت البلاد لنا نداء يكاد المرء يسمعه أنينا "[19]

كلمات الشاعر موجهة للشباب فالجزائر تبكي شبابها لينهض بها، والشاعر عزت عليه بلاده المليئة بالجراح فيراها تنزف ألما، ولم يرضه هذا الوضع المزري الذي هي فيه فنادى الشباب ليتحرك ما بداخلهم من حب لوطنهم وكرامة وغيرة عليها، فلا يقبلوا بؤس الحياة التي جعلهم الاستعمار يعيشونها، ويقوموا للنضال والجهاد ضد هذا الوضع الذي لا يجب أن يرضوا به.

3- الغرض الوطني

نجد قصيدة محمد اللقاني بن السائح يتغنى ببلاده فيقول:

"أنا أهواك ومثلي في الهوى لا يبالي

صار جسمي من تباريح الجوى كالخلال

أنا أهوى وطني رغم العدا وبلادي

كل يوم كلفي من حبها في ازدياد"[20]

يظهر في تفاصيل القصيدة حب الشاعر لوطنه، رغم كونه لا يبالي بالحب والهوى، إلا أنه متيم ببلاده، ومتعلق بها ويظهر عشقه لها في كلمات القصيدة.

وهاهو شعر مفدي زكريا بن سليمان في قصيدته "لك الحياة" وهي قصيدة كلها وطنية، تظهر مكانة الجزائر عند الشاعر، فهي بالنسبة له الكون أجمعه، يفديها بروحه ودمه، ولا يرجو سوى البقاء فيها، يظهر هنا انتماءه لوطنه، مثل هكذا شعراء جبلوا على حب الوطن، فلو خيروهم بين الوطن والكون بما فيه اختاروا وطنهم، ورضوا بالعيش البسيط لكن حياة كريمة في بلدهم خير من

الدنيا بما فيها، هؤلاء الشعراء من يحق لهم أن نفتخر بهم وبحبهم لوطنهم الذي لا يضاهيه حب، ومثله كثيرون ذكرهم السنوسي في كتابه من بينهم الطيب العقبي في قصيدته "رد التحية فرض"، وأبو اليقضان في قصيدته "وداع الوطن"، وأيضا قصيدة محمد السعيد الزاهري "الجزائر تحيا الجزائر".

وهناك الكثير من القصائد التي تحمل ضمن أبياتها معنى الوطنية، وأوردها الهادي السنوسي في كتابه بجزأيه، إن لم نقل أنها أخذت الحصة الكبرى منها حيث أن "إحساسهم العميق بالتجربة الوطنية والتعلق بالتراث والحلم بالمستقبل كان واضحا في هذا الكتاب"[21].

4- الغرض الاصلاحي

لم تقتصر أشعار الشعراء في كتاب السنوسي على الغرض الثوري والوطني فقط، فقد كان فيه العديد من منها تحمل طابعا إصلاحيا يطفح بمعان ثورية، لكنها تمس الفكر بإصلاح العقيدة، والتخلي عن العادات والتقاليد الخاطئة، والحث على التعليم، بفتح المدارس والمساجد القضاء على الجهل.

رغم ما كان الاستعمار يقوم به من تضييق على رواد الإصلاح وعلى رأسهم الأمير خالد الذي قامت بنفيه إلى الإسكندرية، بعد ما رأته منه من مبادرات وقال عنه محمد السعيد الزاهري في قصيدته" إلى الزعيم الجزائري بالإسكندرية"

"قضيت حياتي مدلجا ومؤوبا ولكن كأني رمت عنقاء مغربا

تود الليالي لو ثنتني عن المنى وعزمي يأبى حتى ادرك مطلبا

ومن يبنغي الأمر الجليل فانه يكابد فيه متعبا ثم متعبا"[22]

بعدما أدركت فرنسا دور الأمير خالد في توعية الشعب الجزائري، حاربت ذلك بإبعاده، وتظهر هذه الأبيات دور الأمير خلد في الارشاد فجعل منه كوكبا يلوح في الأفق.

وقد ذكر الهادي السنوسي محمد العيد حم في كتابه وقصيدته "الشهاب يحي الشباب" التي صرح فيها أنه يسعى للإصلاح واتخذه سبيلا له، فقامت فرنسا بتعطيل جريدة المنتقد فنشرها في الشهاب، فشعراءنا الأجلاء لم يركنوا لما يقوم به الاستعمار من تثبيط لهم، وإطفاء شعلة نورهم التي رغم كل هذه المعاناة إلا أنها بقت تضيء وتنير درب الشعب الجزائري.

إذا تحدثنا عن الإصلاح فإن له أدوات ووسائل تساعد على انتشاره، فهو ليس مجرد كلام يقال، بل هو مشروع له أركانه وأسسه التي تؤدي إلى نجاحه، رغم سعي فرنسا إلى أن تحول دون قيامه، إلا أن لدينا كوكبة من العلماء والشعراء الذين كان همهم الوحيد إصلاح المجتمع وزرع القيم السامية بين أفراده، وتعليمهم ليخرجوا من دائرة الجهل.

تعد الصحافة أحد هذه الرسائل التي لعبت دورا كبيرا في عملية الإصلاح هذه، وقد ذكر السنوسي الشاعر أبو يقضان في قصيدته "الصحافة" التي يقول فيها:

"إن الصحافة للشعوب حياة والشعب من غير اللسان مواة

فهي اللسان المفصح الذلق الذي ببيانه تتدارك الغايات

فهي الوسيلة للسعادة والهنا وإلى الفضائل والعلا مرقاة

فبها إلى الأمم الضعيفة ترفع الر غبات منه وتبلغ الأصوات"[23]

إذن الصحافة لسان الشعب الذي تعبر به عن مطالبه ورغباته، ويسمع من خلالها صوته، فقد عمد إليها الشعراء كوسيلة لإيصال القضية الجزائرية لمختلف الدول العربية وما يعيشونه من ذل وقهر من الاستعمار، فجعلوا منها قضية عربية تجاوزت حدود الوطنية وكشفوا حقيقة الاستعمار ووجهه الحقيقي هذا من جهة، كما يمكن اعتبارها أداة للتعبير عما يعيشه الشعب الجزائري من اضطهاد وسلب لحرياته وحقه في حياة كريمة كباقي الشعوب بالإضافة إلى هذا فان الصحافة لعبت دورا كبيرا في نشر العلم والمعرفة في أوساط الجزائريين، وكانت وسيلة تعليمية في غاية الأهمية من خلال ما تنشره من مواضيع تصب في الإطار الديني أو الاجتماعي، وتعتمد الصحافة في إيصالها لما تريد على الجرائد التي كانت تصدر وقتها وهي المنتقد والشهاب والجزائر ، وقد ذكر الشيخ الطيب العقبي في قصيدته "رد التحية فرض" الصحافة ودورها فيقول:

"حيى الجزائر ما دمت تحيينا وانهض بشعب قضى في جهله حينا

واعمل لخير بلاد طالما هضمت حقوقها واتخذ من حبها دينا

وسر حثيثا على تلك الطريق إلى حيث المعارف حيث العلم يهدينا

تلك الصحافة لو تندى الأكف لها لا شيء عنها مدى الأيام يسلينا"[24]

إذن تحدث الشاعر هنا عن جريدة الجزائر وما للقائمين عليها من دور في في سبيل إظهار الحق، فهي بمثابة طريق للوصول إلى العلم والمعرفة.

توجد العديد من القصائد التي تناولت الصحافة والجرائد في أبياتها وذلك لتبين أهميتها كيف حاربت الاستعمار دون خوف منه بالتصريح بأفعاله الشنيعة، كما ركزت على الدين ونشر تعاليمه وبالتالي فهي ركيزة أساسية، ومن أهم وسائل المقاومة.

سادسا: محمد الهادي السنوسي مبدعا

كما ذكرت سابقا أن بدايات السنوسي في طلب العلم كانت وهو غلام، فقد عمل والده على أن يدرسه، حتى أنه سافر من أجل العلم ولحسن حظه تعلم على يد ابن باديس، علامة الجزائر فحسن علمه، "وكان محمد الهادي من الشعراء الأدباء، وشارك بقلمه في النهضة الاصلاحية"[25]، حيث كان من المصلحين الذين سعوا لنشر العلم وأسس العلم الصحيحة "وهو يركز على الجانب القرآني والتمسك به مادام من وحي الله العالم الخبير لما يصلح لعباده في كل زمان ومكان"[26] والمعروف أن السنوسي أبدع وهو شاب فألف كتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر"، بالإضافة إلى أنه قال الشعر على اختلاف أغراضه، واتبع نهج الأقدمين في نظم أشعاره.

بداياته في الشعر كانت في فترة الاستعمار الفرنسي، لذلك من الطبيعي أن يكون شعره وطنيا ثوريا لأنه عاصر وعاش ظلم الاستعمار مما ولد في نفسه روحا ثورية آبية للذل والمهانة وانعكس هذا على أشعاره، فكانت قصائده تنادي بالحرية وراح يدعوا ويلح على الثورة، ثورة تأتي بالحرية وتخرج المحتل من أرضها.

ونجد في قصيدته الشهيد:

"ولدي فقدتك والحياة جميعها في من فقدت

يا ليتني لما احتضنتك للوداع هناك مت

لم أنس وقفتنا الرهيبة إذ أغالب ما كتمت

وجوانحي نار يراق على جوانبهن زيت"[27]

وهي عبارة عن قصيدة ترثي فيها أم ابنها الذي أستشهد، فصور السنوسي مشهد الأم وهي نبكي ابنها المتوفي في مشهد كله حزن على الفراق وألم البعد الذي أرهق الأم، فتبعث فينا كلمات القصيدة ذلك الأسى الذي تعيشه الأم، ويصلنا إحساس الفقد، ففقدها ابنها هو فقد للحياة.

لقد كان للمرأة نصيب في شعر الهادي السنوسي، فدعا من خلال القصيدة "الفتاة الجزائرية" إلى تعليم الفتيات وألا يتركن للجهل والأمية، فيكون لها دور في صنع التاريخ ومجد الجزائر ولا تترك محرومة مسلوبة من أبسط حقوقها وهو التعليم، فنظرة المجتمع للمرأة آنذاك فيها من الظلم الكثير فنادرا ما نجد فتاة متعلمة، أو تمارس نشاطا ما بحكم العادات والتقاليد التي تحرمها من كل شيء، وقد حارب السنوسي مثل هكذا عادات من خلال قصائده التي تدعوا لتعليم الفتاة ومعرفتها لدينها، فيكون لها دورها وتكون شخصا فعالا في المجتمع، وتضمن حياة كريمة ومكانتها وسط المجتمع، وتخرج من دائرة التهميش التي وضعت فيها، وقد أدرك السنوسي هذا وحاول تحسين وضع المرأة ونادى بذلك من خلال قصائده وما يقوم به من عمل إصلاحي.

سابعا: السنوسي والصحافة

تعد الصحافة من أهم الوسائل التي تستعمل لإيصال فكرة، أو نشر حدث ما، وقد ساهمت كثيرا في عملية الإصلاح من خلال ما تنشره، وقد أدرك الهادي السنوسي هذا فبالإضافة إلى كونه شاعرا مبدعا ومؤلفا، ومن رجال الإصلاح في الجزائر فإنه اشتغل أيضا بالصحافة "وكان اهتمامه منصبا على المقالة الصحفية الإصلاحية بشكل كبير، ودعوته كانت ربط الأقوال بالأعمال، وتطبيق المبادئ الدينية في الحياة، وقد رحب بها الجزائريون كثيرا"[28] ، ومما ساعده على الظهور في مجال الصحافة هو تمكنه من ناصية اللغة رغم صغر سنه، كما ان لديه قريحة شعرية جعلت منه مبدعا "واستهل نشاطه في الصحافي في مدينة بسكرة في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين بعد أن أصدر ابن باديس جريدتيه: المنتقد والشهاب سنة 1925"[29]، وكان أحد المحررين في تلك الجرائد، فذهب إلى مختلف أرجاء البلاد من أجل التعريف بهما والتأكيد على أهميتهما وما يسعون إليه من إصلاح ودعوة للثورة ضد الاستعمار ومحاولة نشر تعاليم الدين الصحيحة والنشر في الجريدتين تحت اسم شاعر المنتقد وقد ذكرها في كتابه حين قال "ومالي من قصائد في الجريدتين تمضى ب(شاعر المنتقد)"[30]

وبما أن السنوسي عاش في فترة الثورة فقد استعمل الصحافة كوسيلة من أجل إقناع الشعب بها وإيصال صوته لأبعد نقطة في الجزائر من خلال أبياته التي تحمل كل معاني الثورة والتي يدعو من خلالها الشعب إلى النهوض ضد الاستعمار وعدم الركون له، ومحاولة النهوض بالمجتمع، وذلك

بنشر القصائد أو كتابة مقالات بالإضافة إلى نشاطه في الصحافة المكتوبة فقد اشتغل أيضا بالإذاعة في برنامج اسمه "البرنامج الأدبي "

خاتمة

ـ ساهمت البيئة التي عاش فيها السنوسي على تكوين ثقافته من خلال والده، الذي عمل على تدريسه بالإضافة إلى سفره لنهل العلم من أفواه العلماء.

ـ كان لابن باديس دور مهم في إبراز موهبة السنوسي الشعرية

ـ تكون لدى السنوسي فكر إصلاحي، سعى من خلاله إلى إصلاح المجتمع وإبعاده عن الخرافات ومحاولته إرساء قواعد الدين الصحيحة

ـ تعددت الأغراض التي كتب فيها السنوسي فقد أخذت المرأة حيزا من كتاباته، إلا أنه تناول الشعر الثوري في كثير من قصائده، وذلك لبعث الحماس ومحاربة الاستعمار

ـ كتاب محمد الهادي السنوسي هو بمثابة وثيقة تبين أن للجزائر شعراء لهم وزنهم وقيمتهم

ـ تميز كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر "بأن جل المعلومات التي كتبها عن الشعراء هي من الشعراء أنفسهم

ـ قام الهادي السنوسي في كتابه بشرح بعض المعاني الغامضة في القصائد إضافة إلى التعريف ببعض ما يراه غامضا أو يستحق الشرح.

ـ تأثر السنوسي بالثورة التحريرية، وقد ظهر هذا في قصائده التي تدعوا إلى الثورة وتمجيدها والمشاركة فيها

ـ يعتبر كتاب السنوسي عبارة عن وثيقة لسير الشعراء الذين ذكرهم وحفظ أسماءهم وأعمالهم من الزوال

الهوامش

[1] ينظر، نويهض عادل، أعلام الجزائر، ج1، ص157.

[2] بوداوود عبيد، (2003م)، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، دار المغرب للنشر والتوزيع، ص82.

[3] هاملتون جيب، (1964م)، دراسات في الحضارة الاسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ص282،281.

[4] السنوسي محمد الهادي، (1962م)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، المطبعة التونسية، تونس، ص186.

[5] (1985م)، مذكرات خير الدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، ص275.

[6] غنام عبد الحميد، (1980م)، عبد الهدي السنوسي الزاهري حياته وشعره، ط1، منشورات السائحي، الجزائر، ص137.

[7] قناش محمد، (2009م)، المسيرة الوطنية وأحداث 8ماي 1945م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ص24

[8] لونيسي رابح، (2009م)، التيارات الفكرية في الجزائر، كوكب العلوم، الجزائر، ص354.

[9] المدني أحمد توفيق، (2009م)، حياة كفاح "مذكرات"، ج2، دار البصائر، ص98.

[10] بوعزيز يحي، الايديولوجيات السياسية الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، ديوان المطبوعات الجزائرية، ص5.

[11] بوصفصاف عبد الكريم، (1996م)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، (1931، 1954)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص226.

[12] غنام عبد الحميد، (2007م)، محمد الهادي السنوسي الزاهري حياته وشعره، ط1، منشورات السائحي، الجزائر، ص188.

[13] بسكر محمد، (2013م)، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج1، دار كركادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص360

[14] السنوسي محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، تونس، ص9.

[15] ينظر، المصدر نفسه، ص 10

[16] السنوسي محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص101.

[17] غنام عبد الحميد، محمد الهادي السنوسي الزاهري حياته وشعره، ص157.

[18] غنام عبد الحميد، محمد الهادي السنوسي الزاهري حياته وشعره، ص181.

[19] السنوسي محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص39.

[20] السنوسي محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص57.

[21] سعد الله أبو القاسم، (2011م)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ط1، دار المغرب الاسلامي، بيروت، ص229.

[22] السنوسي محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص76.

[23] المصدر نفسه1، ص115

[24] السنوسي محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص 130 ،131.

[25] نويهض عادل، (1980م)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، ص157.

[26] غنام عبد الحميد، محمد الهادي السنوسي الزاهري، حياته وشعره، ص،84،85.

[27] موقع مؤسسة البابطين http://www.almoajam.org/poet

[28] ينظر، مرتاض عبد المالك، (1983م)، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931، 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، ص33.

[29] بوعمران الشيخ وآخرون، (1995م)، معجم، مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، ص89.

[30] السنوسي محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص187.

قائمة المصادروالمراجع

1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، دار المغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 2011م
2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح "مذكرات"، ج2، دار البصائر، 2009م
3) رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر، كوكب العلوم، الجزائر، 2009م
4) الشيخ بوعمران وآخرون، معجم، مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995م
5) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980م.
6) عبد الحميد غنام، عبد الهدي السنوسي الزاهري حياته وشعره، منشورات السائحي، الجزائر، ط1، 1980م
7) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، (1931، 1954)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م
8) عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931، 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م
9) عبيد بوداوود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، دار المغرب للنشر والتوزيع، 2003م.
10) محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، تونس، ط1، 1962م
11) محمد بسكر، (2013م)، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج1، دار كركادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م
12) محمد قناش، المسيرة الوطنية وأحداث 8ماي 1945م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009م
13) مذكرات خير الدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985م.
14) موقع مؤسسة البابطين http://www.almoajam.org/poet
15) هاملتون جيب، (دراسات في الحضارة الاسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، 1964م.
16) يحيى بوعزيز، الايديولوجيات السياسية الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، ديوان المطبوعات الجزائرية.